

الرحمة المحمدية

محل التأسي وبريد الترقى

بسم الله الرحمن الرحيم

انحمد الله رب العالمين

اللهم صل على سيدنا محمد القانع لما
أغلق وأغاثكم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي
إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق ثمره ومقداره
العظيم
آمين

محل قدوتهم أخلاق النبي صلى الله عليه وآله وسلم
القاهرة وأحواله الباطنة فيما للمخلق حظ فيه ومكنة
للمخلق بمقتضاه والتحقق بمعناه.

قال أبو الغاسم القشيري رحمه الله في لطائف
الإشارات: شارحا معنى آية الاقتداء: «كان صلوة»
ومعناها: لكم في رسول الله أسوة حسنة، به قدوتكم،
ويجب عليكم متابعتها فيما يورثكم لكم.

وأقوال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم
وأفعاله على الوجوب بأفعاله وأقواله، وإن كان غير
مكتسب له فهي خصوصية له، لا ينبغي لأحد أن
يتعرض لمقابلته لاختصاصه به صلى الله عليه وآله
وسلم. يعلو رتبته ... انتهى المقصود منه.

الرسول رحمة الله للعالمين

وعليه، فإن: ياب الدعوة قائم على الرحمة
المحمدية، وتربية البشر متوقف على حقيقة الرحمة
المحمدية، ومن: سلك مسلك الدلالة على الله
والنبية فيها عن رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم متجردا من خلق الرحمة ومسلخا من صفة
الحلم والعفو والراحم، فلا حظ له في الاقتداء ولا
حق له في الإرشاد ولو زعم ذلك بالأدعاء.

فإن الحديث عن رحمة النبي صلى الله عليه
وسلم لا يمكن أن تتجاوز فيه أو أن ترغب إليه دون
المروءة، بل الوقوف على المحطات القرآنية، التي
أشادت إلى جميل صفاته وعلو أخلاقه وسعة رحمته
الله به، بعبارة غاية في البلاغة وآية في الإبداع
والقصاحة، وصيغ مثالا في الإيجاز المتضمن لطائف
الإعجاز، وأخرى، نموذجيا في تطوير المحترى على
ضروبيات التفصيل.

فمنها قوله تعالى: «وما أرسلناك
عظيم، القلم/ 4، ومنها قوله تعالى: «وما أرسلناك
إلا رحمة للعالمين» الأنعام/ 107، ومنها تعالى:
«والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما
لبي، والآخر خبر لك من الأولى ولست يعطيك
ربك فترضى، الضحى/ 5، ومنها قوله عز وجل:
«وما الله ليعذبهم وأنت فيهم، وما كان الله معذبهم



سابقه

قال الله سبحانه وتعالى: «لقد كان لكم في
رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم
الأخر، وذكر الله كثيرا»، وهي أصل من أصول التعاون
على السير النجدي إلى باب الله الذي من صوله
وطرقه استعداء وأعطاء ورفق، فلا وصول إلا بالليل
ولا دليل موصل إلا بعد أن يكون خبر الطريق، وقفه
السير فيها بالتحقيق، ورسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم هو سيد خيراء السير إلى الله وأشرف من
عرف الطريق الموصل إليه عز وجل.

ولذلك كان حرص أولياء الله والمجاهدين الذين
على الله في سيرهم وفي تسليكهم لغيرهم أن يكون
مبتيا على الهادي المحمدي ومكتفيا للنهج الأحديدي
المصطفوي، فلذلك وصلوا ووصلوا، وسلخوا وسلخوا
وظغوا وظغوا، وضيء الله عنهم، حتى إنهم كانوا
يتفكرون، الحقيقة المحمدية في حركاتهم ومكاناتهم،
ويكررون المشكاة الأحمدية في أحوالهم وأقوالهم.

ولم يكن ادعائهم التسنن والاقتداء ولا زعمهم
الانبياع والاقتداء منحصر في رسوم تظهر على
ألبانهم، ولا لباس يميزهم عن سواهم، وإنما كان

وهو استعمال دقيق لمن عرف الفرق بين اللغتين
في حقيقتي النبوة والرسالة.
فالناس لا يعرفون في الغالب من سيدنا محمد
إلا رسالته، وهي الصفة التي لزمته منذ أن نزل عليه

وهم يستغفرونه الأنفال/33، وغيرها من الآيات التي
دلت على ربحنا وتلقيها إلى عظيم قدر النبي صلى
الله عليه وآله وسلم وسعة رحمته بالخلق عموماً
وبالمؤمنين خصوصاً.



الرحي وهو ابن أربعين سنة أما نبوته فكانت صفة له
قبل أن يخلق هيكله الشريف.

فقد روى الحاكم في «مستدركه» مرفوعاً:
«كنت نبياً وأدم متجدد في طينته». وفي رواية «وأدم
بين الطين والماء». وفي أخرى «وأدم بين الروح
والجسد».

فهذا حديث يقيد أصيحية نبوته صلى الله عليه وآله وسلم
بالله صلى الله عليه وآله وسلم على رسالته، ولذلك غير القرآن عن أوليته
باسم أحمد وعن آخريته باسم محمد.

ولذلك أن تفهم نبأه صلى الله عليه وآله وسلم كيف أن سيدنا
عيسى لما بشر برسل الله صلى الله عليه وآله وسلم عليه وسلم غير
بأحمد كما في قوله تعالى «وميسراً برسول يأتي من
بعدك اسمه أحمد» العنكب/5.

تأملات في آية الرحمة والرفقة

قوله (من أنفسكم) أي من جنس البشر، وإنما
كانت بعثته لهم وتغييرهم إشادة إلى تفصيل الجنس
البشري على غير من الأجناس.

وقد قرأ ابن عباس وابن عباس والزهري
(من أنفسكم) من النفاسة، أي من خيركم قبيلة

وسأحاول أن أقصر في هذه المعجالة على النظر
في قوله تعالى «لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز
عليه ما احتج حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم
فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت
وهو رب العرش العظيم» التوبة 128-129.

ولكن أول ما يثير انتباهنا هنا هو أن الخبر
الذي جاء في هذه الآية استأنفه الحق تعالى بقسم
يدل على التركيز وهو «لقد»، ومعلوم أن الصادق
في نفسه لا يقسم ليصدق في غيره، بل يقسم ليؤكد
على ما يتلوه عليه غيره.

وهو الحال هنا، فلن الحق سبحانه وتعالى
أصدق في وعده وخبره، وإنما أقسم هنا تركيزاً على
عظيم قدر المخبر به هنا، ولتسا للأذهان والأبصار
والبصائر لعلو شأن المتحدث عنه، وهو سيدنا
محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، الرحمة
المهددة.

بين النبوة والرسالة

التأمل في هذه الآية خاصة يرى أن القرآن
استعمل في هذا الخبر لفظة «الرسول» بدل «النبي».

وأمره، كما ورد في الصحيح عن عائشة بن الأسقف
عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: **إن الله**
أعطاني ثلاثة من ولد إسماعيل وأعطاني بني هاشم
من كنانة وأعطاني من بني هاشم وأعطاني كثرها
من بني هاشم، فأنا خير من خيار من خيار.

فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم فيها على
عظيم جرم المؤذي مرة: «دخلت النار مرة في
مرة حبستها فلا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل
من خشاش الأرض».

حوصه على إنقاذ أمته يوم المحشر، فقد وصى
البحاري في صحيحه: عن أبي هريرة قال: أتته
ومررت إليه صلى الله عليه وسلم بالجحيم فرفقه إليه
الدرهم، وكلفت شحنته فنهض منها ثمنه، ثم قال: أنا
سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون من ذلك؟ يتبعهم
الله الناس والأولياء والأخيار في بعد واحد يسعون
الذي يسعون ويقلعونهم النصارى، وتذبح النصارى، فيبلغ الناس
من العقر والكذب ما لا يطعمون ولا يشبعون، فيقول
الناس: ألا تدرون ما قبلكم؟ ألا تظفرون من يشفع
لكم إلي ربكم؟ فيقول يتبع الناس يتبعون: هل لكم
بآدم، فأتوا آدم عليه السلام يقولون له: أنت آدم
التي خلقك الله بيد، ونعم فيك من روحه، وأمر
الملائكة فسجدوا لك، انشعب أنا إلى ربك، ألا ترى
إلى ما نحن فيه، ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم:
إن ربى قد غصب اليوم غصباً لم يغصب قبلك مثله،
ولن يغصب بعدك مثله، وأنه قد نهى عن الشجرة
فغصبته، نفسي نفسي نفسي، افعلوا إلى ربى
افعلوا إلى ربى، فأتوا نوحاً يقولون: يا نوح، إنك
أنت أول المرسل إلى أهل الأرض، وقد ممالك الله
حيناً فكموا، (انشعب لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن
فيه؟ فيقول: إن ربى عدو لي، قد غصب اليوم غصباً
لم يغصب قبلك مثله، ولن يغصب بعدك مثله، وإنه

حرمه صلى الله عليه وآله وسلم على إنقاذ
غير المسلمين من الكفر والفرج بذلك، فقد روى
مسلم في صحيحه عن أنس قال: كان غلام يهودي
يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فعرس فأداه النبي
صلى الله عليه وسلم يهوده، فلقد عند رأسه فقال
له: واسلم، فنظر إلى أبيه وهو عنه، فقال له: أطع
أبا القاسم صلى الله عليه وسلم، فأسلم فخرج للنبي
صلى الله عليه وسلم وهو يقول: والحمد لله الذي
أنقذني من النار.

وهي التعبير عن الإيمان والبلاغة ما تعجز
ألسنة القصصاء عن الإتيان بظله، إذ الرأفة والرحمة
تجتمعان في صورة موحدة عظمة، لكن بينهما فرق
دقيق، وكلاهما اجتماع في نبي الرحمة.

أما الرأفة فهي من أثر الشفقة والحرص، الذي
يترتب عليه دفع كل المضار على المروءة به، وكل
ما حله النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكرهه
فهو من أثر رأفته كما قال القرآن (ويحرم عليهم
الغرائب) الأعراف/ 122.

وأما الرحمة فهي من أثر الإحسان الذي يترتب
عليه جلب المنافع، وما أمر النبي صلى الله عليه وآله
وآله وسلم إلا بخير وما بين إلا خير، والقرآن يقول:
(يحمل لهم الطيبات) الأعراف/ 122.

هذا، وإن المتبحر في سعة النبي صلى الله عليه وآله
وآله وسلم يرى نماذج الرحمة المهداة بما لم يوجد
له مثيل في تاريخ البشرية.

• **أخفة بقلم المعارف بالله الحاج** **مالك بن**

قال المعارف بالله العلامة سيدي الحاج مالك
بن عثمان بن وهب الله عنه في خلاصة العبد:
ولقد تولت على الأفاق واتصلت

بشري الهوائن في مبلد الكرم
خرت لمولده الأركان وانبعثت

تواكب الشهب نومي العجن بالرجم
تزلزلت أسطوانات الملوك ككعب

به ثلاثة إمام علم ضم
ملكتم مع الأركان أو سجدت

تعظيم مستوجب التعظيم محترم
وفي الصلاة منه الجفنة انقلبت

والانقلاب حجاب عند نومهم
وقد هوت سرفات البيت وانهدم ال

إيمان والصاء مثل النار في الزوم.

يقلم القدير إلى الله تعالى
عبدان بن عبد الله زهار
النجاني المغربي
الله وليه

حرمه على التسيير على أمته في التكليف: إذ
قال صلى الله عليه وآله وسلم كما في البخاري عن
أنس: «إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه،
فسددوا وما رويوا وأيسروا واستعينوا بالغشوة والروحة
ويشيء من التلمذة».

ومعلوم أن كل أحكام الشريعة مبسرة، وأن فائز
التخريم فيها صيغة، وفائز المباح فيها واسعة.

وعلى هذا جرت العادة في الشريعة الإسلامية
بخلاف شرائع صابقة لها كان فيها التكليف والتشدد،
كما في صورة القرآن في غير مناسبة.

حرصه على دعوة غير المسلمين إلى الإسلام،
فقد كان شليح الحرص على هدايتهم وكان يدعو
لهم مع عداوتهم للإسلام وعدائهم للمسلمين، وقد
عفا عن المحاريين له وقائلي قريته وأصحابه، ولا



أحمد بنس. قصة قوله «أدعوا فأنتم الطلقاء»
قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا دعوا فأنتم الطلقاء)
الخاص على العام، فبعد أن بين أن الرحمة المهداة
سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم عفة لكل
موجود أنزل إلى اختصاصه أتباعه وأحبابه وأمة
برحمة معينة، وهي الرأفة والرحمة.